الباب الرابع

علاقة آراء بين ابن خلدون في التربية وتعليم اللغة العربية

في عصر الوضع الطبيعي الجديد

لرؤية ما إذا كانت هناك صلة أو علاقة بين الفكر التربوي عند ابن خلدون وتعليم اللغة العربية في عصر الوضع الطبيعي الجديد، والذي يتضمن عدّة عناصر، وهي: التربية، أهداف التربية، تعليم اللغة العربية، وطرائق التعليم، فيمكن المقارنة بينها على النحو التالي:

أ. علاقة التربية

إنّ مفهوم التربية في عصر الوضع الطبيعي الجديد لا ينفصل عن المفهوم الذي ورد في القانون رقم ٢٠ لسنة ٢٠٠٣ من قوانين جمهورية إندونيسيا، في المادة الأولى، حيث تُعرّف التربية بأنها: "جهدٌ مخطّطٌ وواعٍ لتهيئة العملية التعليمية والتعلّمية والبيئة المناسبة لها، من أجل تمكين المتعلّم من المشاركة النشطة في تنمية قدراته الذاتية، حتى يمتلك قوة دينية، وأخلاقًا فاضلة، وشخصية متكاملة، وذكاءً، وضبطًا للنفس، ومهاراتٍ يحتاجها لوطنه وأمّته ومجتمعه ولنفسه." وفي هذا العصر الذي يُعرف بالوضع الطبيعي الجديد، يُطلب من المؤسسات التعليمية أن تُسارع إلى التكيّف مع العادات الجديدة. وقد أصدرت وزارة التربية والثقافة قرارًا يمنح كل مؤسسة تعليمية صلاحية الاستعداد لتنفيذ العملية التعليمية بما يتناسب مع هذا العصر. فإنّ الوضع الطبيعي الجديد يُعتبر تحدّيًا جديدًا في ميدان التربية، حيث ينبغي أن تتسم المناهج التعليمية بالقدرة على توظيف التطور التكنولوجي ومواكبة متطلبات العصر الحديث.

وأمّا وجهة نظر ابن خلدون في التربية فهي أوسع نطاقًا وأعمق دلالةً؛ إذ يرى أنّ التربية ليست مجرّد عملية تعليم وتعلّم محصورة بين جدران الفصل الدراسي، ولا هي مجرّد نقل المعلومات من المعلّم إلى المتعلّم، بل هي عملية نشطة وخلاّقة يقوم بها الطالب بوعيٍ منه لالتقاط الظواهر الكونية، واستيعابها، والتأمّل فيها على امتداد الزمان. ومثلُ هذا النوع من التربية لا بدّ فيه من دورٍ للعقل والنظر السليم. ومن ثمّ فإنّ ابن خلدون يرى أنّ التربية لا تنحصر في مجرّد التدريس أو نقل المعارف داخل حجرة الدراسة، بل

هي أوسع من ذلك، إذ تشمل العملية التعليمية النشطة التي يقوم بها المتعلّم بنفسه من خلال التجارب والخبرات التي يستقيها من بيئته ومحيطه. فالتعلّم ليس حكرًا على الفصول الدراسية، بل هو سيرورة مستمرّة ترافق الإنسان مدى حياته، ولا تنتهي إلا بموته.

وممّا تقدّم من البيان، يتبيّن أنّ ثمّة علاقة وثيقة بين التربية في عصر الوضع الطبيعي الجديد وبين رؤية ابن خلدون، إذ إنّ نظرته التربوية قد طُبّقت في هذا العصر بالفعل. ويظهر ذلك جليًّا في أنّ كثيرًا من المؤسّسات التعليمية قد أخذت بنظام التعليم عن بُعد، وهو التعليم الذي يعتمد على الوسائط الإلكترونية وشبكة الإنترنت، بحيث لا يُشترط أن يتمّ التعليم وجهًا لوجه داخل الصفوف الدراسية، بل أصبح أكثر مرونةً ويمكن إجراؤه في أيّ مكان.

١. علاقة هدف التربية

إنّ أهداف التربية في عصر الوضع الطبيعي الجديد لا تنفكّ عن الأسس التي قرّرتها الجمهورية الإندونيسية في قانونها رقم ٢٠ لسنة ٢٠٠٣م بشأن نظام التعليم الوطني، الباب الثاني، المادة الثالثة، حيث نُصّ فيها على أنّ الهدف من التربية هو تنمية قدرات المتعلّمين ليصبحوا أناسًا مؤمنين بالله تعالى، متّقين له، ذوي أخلاق كريمة، أصحّاء، ذوي علمٍ وكفاءةٍ وإبداعٍ واستقلال، ومواطنين ديمقراطيّين مسؤولين. ومع دخول عصر الوضع الطبيعي الجديد، أصبح لزامًا على ميدان التربية أن يتكيّف بشكل دينامي مع التغيّرات الاجتماعية والتقدّم التكنولوجي. وهذا العصر لا يقتصر على مجرد التكيّف بعد الجائحة، بل يُعدّ انطلاقة نحو نظام حياة جديد يقوم على الرقمنة، والكفاءة، والاعتماد على تقنية المعلومات. ومن ثمّ، فقد وُجّه نظام التعليم الوطني ليحافظ على سلامة جميع عناصر العملية التربوية وراحتهم من الطلبة والمعلّمين والمجتمع كافّة، مع تنوّع أساليب التعلّم التي تشمل التعليم عن بُعد (عبر الإنترنت) والتعليم الحضوري (المباشر) المحدود. وفي هذا السياق، لم تَعُد المؤسّسة التعليمية مجرّد فضاء ماديّ فحسب، بل أصبحت

ساحة تعلّم مرنة وقابلة للتكيّف. ولم يَعُد تركيز التربية على مجرّد إنجاز المنهج الدراسي، بل تعدّاه إلى بناء الشخصية وتنمية مهارات الحياة التي تتلاءم مع تحديات العصر. وهذا يُعدّ جزءًا لا يتجزّأ من الجهود الرامية إلى تحقيق أهداف التربية الوطنية في ظلّ الواقع الجديد المتطوّر باستمرار.

قسّم ابن خلدون أهداف التربية إلى ثلاثة أقسام

أولها: الهدف الاجتماعي، حيث إن الغاية من التعليم هي توسيع مدارك العقل وتنشيطه للقيام بالأعمال والأنشطة المختلفة.

ثانيها: هدف الترقي الاجتماعي؛ إذ يرى أنّ العلم والتعلّم وسيلتان لرفع مستوى المعيشة والرقي بالحياة المجتمعية نحو الأفضل.

وأخيرًا: الهدف الروحي، وهو من أهمّ الجوانب في نظر ابن خلدون؛ إذ يرى أن التربية تسهم في تنمية البعد الروحي لدى الإنسان، وهذا الهدف يُمكِّن الإنسان من أداء دوره ووظيفته بوصفه عبدًا لله تعالى.

بناءً على هذا البيان، يمكن استخلاص أنّ اتجاه مقاصد التربية في عصر الوضع الطبيعي الجديد يرتبط ارتباطًا وثيقًا برؤية ابن خلدون، فإنّ الأهداف الثلاثة للتربية عند ابن خلدون قد تمثّلت في مقاصد التربية الوطنية. وبناءً عليه، فإنّ رؤية ابن خلدون لا تزال صالحة وسديدة لتُطبَّق في نظام التعليم في هذا العصر.

ب. علاقة تعلّم اللّغة العربيّة

في مواجهة تحديات عصر الوضع الطبيعي الجديد، يتطلّب تعليمُ اللغة العربية منهجًا لا يقتصر على الجوانب التطبيقية، بل يشمل أيضًا الأبعاد الفلسفية. وقد قدّم ابن خلدون في هذا الصدد أساسًا مهمًّا: إذ أكّد أنّ إتقان اللغة العربية يُعَدّ شرطًا جوهريًّا لفهم التراث الإسلامي، لأنّ جميع مصادر التشريع الإسلامي منبثقة من النصوص العربية، وهي: القرآن الكريم والسنّة النبوية.

قسّم ابن خلدون علوم اللغة العربية إلى أربعة مكوّنات رئيسة لا تزال تحتفظ بأهميتها إلى يومنا هذا. أوّلها: علم النحو، وهو أداة لفهم تراكيب الجمل بدقّة. وثانيها: علم

الصرف، الذي يحفظ معاني الكلمات من التحريف نتيجة تأثير الثقافات الأجنبية أو الاستعمال غير الدقيق. وثالثها: علم البيان والبلاغة والبديع، وهي علوم تدرس جمال التعبير وقوّته في اللغة العربية. ورابعها: علم الأدب، الذي يؤكّد على أهمية إدراك الفنون والجماليات في الشعر والنثر العربي الكلاسيكي.

وفي سياق هذا العصر، يمكن أن تكون هذه المكوّنات الأربعة مرجعًا أساسيًّا في تصميم مناهج تعليم اللغة العربية بصورة مرنة، سواء في التعليم عن بعد أو الحضوري. ومن خلال هذا المنهج، لا يكون تعليم اللغة مجرد عملية تقنية، بل يصبح وسيلة لبناء شخصية فكرية وذوقية، وفهم عميق لثقافة الإسلام.

وجهة نظر ابن خلدون في تعليم اللغة العربية لا تزال تحتفظ بأهميتها الكبيرة في تعليم اللغة العربية بشكل عام حتى يومنا هذا. فمفهوم الملكة أو إتقان اللغة الذي طرحه يدل على أن نجاح تعلم اللغة لا يعتمد فقط على حفظ قواعد النحو والصرف، بل يعتمد أكثر على مهارة استخدام اللغة بشكل فعّال، سواء شفهيًا أو كتابيًا.

هنا تتجلّى أهمية وجهة نظر ابن خلدون في عصر الوضع الطبيعى الجديد مع وجود منهج الاستقلال الذي طورته وزارة التعليم والثقافة والبحث والتكنولوجيا في إندونيسيا، والذي يركز على التعلم السياقي، المرن، والمتمحور حول المتعلم. كما اقترح ابن خلدون، يمكن توجيه عملية تعلم اللغة العربية لإنتاج متعلمين لا يفهمون فقط تركيب اللغة، بل يستطيعون استخدامها بفعالية ومعنى.

علاوة على ذلك، يركّز ابن خلدون على دور المعلّم في تعليم اللغة العربية باعتباره عاملًا حاسمًا في توجيه المتعلّمين نحو إتقان شامل. فالمعلّم المثالي، حسب رأيه، هو الشخص الذي لا يكتفي بإتقان علوم اللغة فحسب، بل يفهم أيضًا التطورات النفسية للمتعلّمين. وهذا يتوافق مع ما ورد في المادة ٣٩ الفقرة ٢ من الباب الحادي عشر في قانون جمهورية إندونيسيا رقم ٢٠ لعام ٢٠٠٣ المتعلق بنظام التعليم الوطني، حيث يُوضّح أن المعلّم هو كادر مهني مسؤول عن تصميم وتنفيذ وتقييم عملية التعلم، بالإضافة إلى تقديم الإرشاد والتدريب، وإجراء البحث وخدمة المجتمع. في عصر الوضع الطبيعى

الجديد، يُطلب من المعلّم أن يكون أكثر نشاطًا، إبداعًا، وتكيّفًا في وضع استراتيجيات التعليم التي تتناسب مع تغيّر أنماط التفاعل واحتياجات العصر المتزايدة التعقيد.

في عهد ابن خلدون، يُرى أن المعلّم يجب أن يكون شخصًا يمتلك معرفة كافية بتطورات نفسية تلاميذه. كما أشار ابن خلدون إلى أن هناك عدة صفات ينبغي أن يتحلى بها المعلّم، منها:

١. يجب أن يتحلى المعلّم باللين والابتعاد عن القسوة
٢. يجب أن يكون المعلّم قدوة حسنة (أسوة حسنة)
٣. يجب أن يراعي المعلّم حالة المتعلّمين بحيث تتوافق الطريقة والمادة التعليمية مع ظروفهم.
٤. يجب على المعلّم أن يستغل أوقات الفراغ فيما ينفع
٥. يجب أن يكون المعلّم محترفًا وذو علم واسع عن تلاميذه، خصوصًا فيما يتعلق بنمو النفس وتطورها، وكذلك حالة الطلاب في استقبال المادة التعليمية.

ومن خلال هذا البيان، فإن تعليم اللغة العربية الذي طرحه ابن خلدون لا يزال محتفظاً بصلته بواقع العصر الحاضر. فالمعلّم في زمن ابن خلدون هو الذي ينبغي أن يفهم ويحيط علماً بتطور النفسية عند المتعلّمين، ويملك شخصية حسنة، ويكون قدوة حسنة لهم. وهذه الرؤية تظلّ مناسبة في زمن الوضع الطبيعي الجديد، إذ ينبغي للمعلّم أن يكون قدوة صالحة لطلابه، ويملك معرفة واسعة بشؤونهم.

ج. علاقة طريقة التعليم.

أشار ابن خلدون إلى جملة من الأمور المتعلقة بأساليب التعليم. ومن بين الأساليب التي ذكرها: طريقة الحفظ، وطريقة المناقشة، وطريقة الرحلة والزيارة العلمية، وطريقة الاقتداء، وطريقة الرحمة والرفق، وطريقة التكرار والتدريب، وطريقة التمثيل، وطريقة مراعاة نضج السن، وطريقة التخصص في مجال معين، وطريقة الثواب والعقاب. وغاية هذه الأساليب جميعاً هي تكوين الملكة، أي التمكن العميق الداخلي الراسخ في نفس المتعلم

ومع دخول العصر الجديد المعروف الوضع الطبيعي الجديد، شهد ميدان التعليم تحولات جوهرية في أساليب التدريس ووسائله، إذ أصبحت التكنولوجيا الرقمية عنصراً رئيساً في العملية التعليمية. ومن الأساليب المعتمدة في هذا العصر: التعلم القائم على المشاريع *(Project Based Learning)*، وطريقة التعليم عن بعد *(Daring Method)*، وطريقة التعليم المباشر *(Luring Method)*، وطريقة الزيارة المنزلية *(Home Visit Method)*، وطريقة التعلم المدمج *(Blended Method)*.[1] وعلى وجه العموم، فإن الأساليب التعليمية المتبعة في هذا العصر تعتمد التعليم الإلكتروني وسيلة رئيسة للتواصل بين المعلم والمتعلم. ورغم تغيّر الوسائل والأشكال، فإن جوهر المناهج التعليمية التي طرحها ابن خلدون لا يزال قابلاً للتطبيق في السياق المعاصر، ومن ذلك مثلاً:

١. تطبق طريقة الحفظ والتكرار من خلال منصات التعليم عن بعد، كالمسابقات الرقمية والتمارين التفاعلية.
٢. وتتكيف طريقة المناقشة في صورة المنتديات عبر المؤتمرات المرئية، والمجموعات الدراسية الرقمية، والتعاون في المشاريع الإلكترونية.
٣. وأما طريقة الاقتداء والرحمة فلا تزال حاضرة من خلال التواصل المكثف بين المعلم والمتعلم، سواء في التفاعل المباشر داخل الفضاء الافتراضي، أو عبر الدعم المعنوي الذي يقدمه المعلم بواسطة الوسائط الرقمية.
٤. كما يمكن تطبيق طريقة الثواب والعقاب من خلال تقديم الجوائز الرقمية أو التغذية الراجعة البنّاءة عند تحقيق الطالب إنجازاً معيناً.

وبهذا، فإن العملية التعليمية وإن تمت عبر التكنولوجيا والوسائل الحديثة، فإن جوهر التعليم عند ابن خلدون لا يزال صالحاً للتطبيق ومناسباً للسياق المعاصر. إذ إن التركيز ينصب على اكتساب المهارات العملية، وتكوين الذوق اللغوي، وتحقق التمكن العلمي الراسخ في نفس المتعلم، لا على الجوانب النظرية وحدها.

[1] Eka Diana dan Mof Rofiki, *Analisis Metode Metode pembelajaran efektif di era new normal'* (JRPP:Jurnal Review Pendiidkan dan Pengajaran. Volume 3 nomor 2 2020). 338

وفي عصر الوضع الطبيعي الجديد، لا يزال كثير من المعلمين يعتمدون أساليب ابن خلدون في التعليم، مثل طريقة الحفظ، والمناقشة، والرحمة، والتكرار، والتخصص، وطريقة الثواب والعقاب. ومن هنا يمكن القول إن مناهج التعليم التي وضعها ابن خلدون لا تزال ذات صلة ويمكن الإفادة منها في هذا العصر.